



مكتبة «البيان»

«الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية» كتابا لسفير أرمينيا في سورية آرشاك بولاديان

يتضمن كتاب «شهود عيان عن الإبادة الأرمنية في الإمبراطورية العثمانية» للدكتور آرشاك بولاديان، سفير أرمينيا في سورية مجموعة وثائق منهجية ودقيقة تكشف فظائع الجرائم الوحشية التي ارتكبتها العثمانيون في حق الشعب الأرمني في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. ويهدف الكتاب الصادر لدى «دار الشرق للطباعة والنشر» إلى تسليط الضوء على سلوك حكومة حزب العدالة والتنمية في تركيا التي تقدم نفسها بكونها وريثة الإمبراطورية العثمانية.

في تقديمه للكتاب يرى مدير «دار الشرق» الدكتور نبيل طعمة أن السفير بولاديان قدم بحثا مهما يكشف بشاعة الجرائم التي تعرض لها الشعب الأرمني، وأن الأرمن هم أمة تاريخية أنجزت عبر مسيرتها الحضارية حضوراً بشريا، مؤكداً على أهمية الوقوف بجانب هذه الحقائق لتحريك الواقع الحاضر كي يسكن الذاكرة فلا تمحى مستقبلا.

في هذا البحث يبين الدكتور بولاديان أنه في العقود الماضية اضطلع الرؤساء الروحيون والقياديون الدينيون والأحزاب السياسية والمنظمات التعليمية الاجتماعية والثقافية والخيرية وغيرها من المنظمات الأرمنية في المهجر بمهمة الحفاظ على ذكرى شهداء الإبادة الأرمنية، وأدى ذلك عبر السنين إلى نتائج إيجابية لناحية الاعتراف والإدانة الدوليين، مؤكداً أن أرمينيا نظرت ولا تزال إلى قضية المجزرة الأرمنية كقضية وطنية أولوية. ويكشف أن انهيار النملة العثمانية البقراونية في أرمينيا عام 1045 من قبل الإمبراطورية البيزنطية فتح المجال أمام الأتراك السلاسلقة لغزوها، حتى وقعت كلياً تحت سيطرتهم، مشيراً إلى أن مشروع إبادة الأرمن تبلور منذ عام 1884 على يد كبير وزراء الإمبراطورية العثمانية سعيد كوتشوك باشا والذي بات بعد ذلك منهباً أساسيا لسياسة السلطان

الأمرع يد الحميد الثاني، تقراً في بشأ تكرار ما حدث في الطلاق الغربي من الإمبراطورية العثمانية في أماكن أخرى.

منذ تسعينيات القرن التاسع عشر تعرض الأرمن في الإمبراطورية العثمانية لمجازر جماعية ذهب ضحيتها 300 ألف شخص ما بين 1894 و1896 وأجبر 100 ألف أرمني على تغيير انتماءه القومي، وما يقارب هذا العدد على مغادرة وطنهم.

نقراً في الكتاب أنه بعد فشل سياسة السلطان عبد الحميد في إبادة الأرمن

في الإمبراطورية العثمانية من جراء ضعف نظامه تدريجياً والتناقضات في العلاقات السياسية والاجتماعية والقومية وضباع بعض المقاطعات الأوروبية والأفريقية، قرر حزب الاتحاد والترقي عام 1910 خلال اجتماعاته السرية متابعة سياسة عبد الحميد وحل القضية الأرمنية والتخلص من الأرمن كضرورة سياسية واقتصادية وعرقية ودينية لحزب الاتحاد والترقي. وكتب بولاديان أنه في عام 1913 بعد انقلاب محمد طلعت وإسماعيل أنور وأحمد جمال، عقدت اللجنة السياسية اجتماعاً بمشاركة طلعت باشا وحضور أنور باشا وبهاء الدين شاكر وناطم باشا وأحمد أوغلي، واتخذ في هذا الاجتماع قرار غلام ضد الشعب الأرمني يقضي بإبادته كاملاً وإزالة الاسم الأرمني من الوجود.

أما مهمة التنفيذ، بحسب الكتاب، فكانت على عاتق الدرك والشرطة والعصابات والتشكيلات المخصوصة والمؤلفة من عشرات الآلاف من المجرمين، وفرت الحكومات الاتحادية عام 1915 تدمير المراكز الأساسية للمقاومة الأرمنية، كما صدر مرسوم قومي يقضي بترحيل الأرمن الذين يقطنون أطراف الدولة العثمانية. ويتابع قائلا: «إن عمليات النفي والقتل وإحراق البيوت والنهب والسلب والاعتصاب والتذليل استمرت في جميع الولايات الأرمنية حيث كان ترحيل الأرمن ونفيهم بذريعة حماية المدنيين والقوات العثمانية من خيانة متوقعة من طرف الأرمن لمصالح الروس، ونفذت العمليات على مرحلتين الأولى قتل الرجال الأكفاء والثانية نقي الباقين. ثم بدأت التداعيات إلى أن دخلت الإبادة الأرمنية المرحلة الثالثة والأخيرة عام 1923 بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى وظهور الكماليين بقيادة مصطفى كمال أتاتورك مؤسس الدولة التركية الحالية. وتبني الكماليون لاحقا مشروع إقامة وطن قومي لا يقبل للترحيل ويدل على رفض قيام دولة أرمنية في شرق الأناضول في الولايات الأرمنية وكيليكيا. وبعد تصفية بعض الولايات الأرمنية من سكانها بدأ الكماليون تطهير كيليكيا تحت انظار ومعت فرسا والدول العظمى وارتكاب مجازر جديدة راح ضحيتها عشرات الآلاف من الأرمن في كيليكيا وأسطنبول وأزمير».

في الكتاب قصص أخرى مليئة بالالم والأسى والحزن تدل على مدى بشاعة هذه الجرائم وولع الحكومة التركية الحالية بماضيها وانتمائها إليه.

«شعراو عنا يقَدِّمون أنفسهم للأطفال» إصدار للشاعر الراحل سليمان العيسى

«شعراو عنا يقدمون أنفسهم للأطفال» كتاب قديم جديد في آن واحد، فهو قديم لأنه كتب مطلع سبعينات القرن الفائت عندما سدت الخيبة الحزيرانية الأفاق أمام الشاعر الراحل سليمان العيسى، ما جعله يتوقف عن الكتابة رَمناً

البناء

ويشق الأبواب باحثًا عن نافذة من الضوء تعيد إليه بارقة أمل في مستقبل الأمة، وتلك البارقة وجدها أخيراً في أدب الأطفال. وهو كتاب جديد لكونه صدر حديثا لدى الهيئة السورية للكتاب، في طبعة أنيقة، ولأنه يشق دربا غير مسبوقة

في أدب الأطفال بحسب الدكتورة ملكة أبيض في كلمتها حول الكتاب، إذ بدأ العيسى كتاباته للأطفال بالإناشيد والقصص والمسرحيات المؤلفة والمعربة، ثم راح يتساءل كيف يستطيع نقل التراث العربي إلى الأطفال بصورة جديدة شاققة تخير اهتمامهم وتمتعهم على نحو يجعل هذا التراث مكونا مهما من مكونات شخصيتهم.

ما فعله العيسى في هذا الكتاب بحسب الدكتورة أبيض أنه نقل التركيز من النص الى الشاعر، أو الكاتب الإنسان الذي تربطه بالطفل صلة حميمة هي صلة القرىبي، فهو طرد القريب أو البعيد، وبدلا من أن يجعل الطفل يذهب إلى هذا السلف يجعله يأتي الى اللطفل مثلما يفعل الأب مع ابنه ويجري حديثا معه حول ظروف كل منهما، مبديا رغبتِه في الإطلاع على أوضاع خلفه، وهكذا تقوم علاقة حية وشعور متبادل بين السلف والخلف تكشف للبناء عن تلك المشاعر الخفية والكأمنة فيهم والتي توجه سلوكهم من حيث لا يدرون.

تؤكد رفيقة درب الشاعر الراحل أن كتاب «شعراو عنا يقدمون أنفسهم للأطفال» ليس كتاب استظهار لقصص قديمة فحسب، بل يشكل رحلة جميلة في أعماق التراث يختار خلالها الشاعر العيسى أهم شعراء العرب ويقربهم إلى أذهان الأطفال ومشاعرهم ويضع سيناريو اللقاءات التي يعقدُها بين الشعراء والأطفال تبعاً للظروف الخاصة بكل منهم.

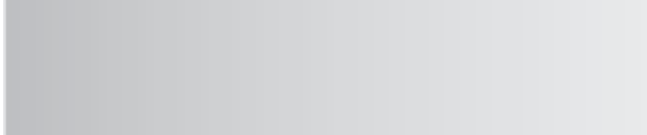
اختار العيسى من أدبنا الكلاسيكي الذي يمتد على أزمان الجاهلية وصدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي سبعة وعشرين شاعرا وزعم على عشرين أجزاء، إذ خلط في البداية لغيرهم في كتابات صغيرة تخفف عن الطالب الصغير عبء تناول كتاب كبير، لكنه أنه ما لبث أن جمع كل الكتابيات في كتاب واحد. ويبدأ عرضه من العصر العباسي لاعتقاده بأنه أقرب إلى تناول القارئ الناشر، فافتتحه بابي التمام ثم بالجحتري والمنتبى وأبو فراس الحمداني والشريف الرضي، عائداً إلى العصور السابقة وقطري بن الخبَاء والحطيئة والخنساء وحسان بن ثابت وعنترة بن شداد وزهير بن أبي سلمى وآخرين.

عن أهمية الكتاب (168صفحة) يقول مدير الهيئة السورية للكتاب الدكتور جهاد بكفلوني: «إن الشاعر الراحل سليمان العيسى قدم إلينا دليلا حيا على أن اللغة العربية لا تومت، فعندما نقرا قصيدة لطرفة بن العبد أو امرؤ القيس أو المتنبي وقد ضعى على رحيلهم أكثر من ألف وخمسة مئة عام فهذا يدل على أن لغتنا هي لغة حية وقادرة على الصمود في وجه الأعاصير التي تتوجهها»، مشيرا إلى أن هذه الدعوات التي وفدت الي المنطقة هي دعوات مشبوهة تدعو إلى إزالة العرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني مكانه على غرار ما فعل كمال أتاتورك في تركيا. ويضيف بكفلوني «أن العيسى يعرّف الأطفال في كتابه بطريقة من العبد مثلا وسيد تسميته بهذا الاسم وكيف كانت حياته، بلغة واضحة سهلة، ويقدم جسرا من الحوار يستطيع الطفل أن يجتازه ببسر ليصل إلى شخصية الشاعر ويعترف إليه وإلى تجربته الإبداعية. وفي مثال آخر يعرف الأطفال بالخطى ويحْتلّ إلى الأطفال أن هؤلاء الشعراء الكبار يقيون ويعرفون بالمنتبى حتى يتخلّل إلى الأطفال أن هؤلاء الشعراء الكبار يقيون بينهم الي يومنا، فعندما يتحدث عنهم كأنه يتحدث عن جيران لهم يبادلونهم تحية الصباح، وذلك بلغة سلسة محببة للأطفال تعرف بأعمال هؤلاء المديعين وسنّ خلودهم. إن شاعر الأطفال الأول ليس في سورية فحسب بل في الوطن العربي يقدم هؤلاء الشعراء بطريقة تجعل الطفل يعرف عن أجداده الكثير، ويمد إليه خيطا يشده إلى ذاك الماضي الذي يحاول الأعداء طلمسه بمختلف الوسائل».

«النظر إلى مصر بعين ثالثة» كتاب لمحمد صلاح غازي يضم سلسلة من المقالات عبارة هي قراءة سوسيو- ثقافية للمشهد البراديكالي للمجتمع المصري في أعقاب انهيار نظام الرئيس الأسبق حسني مبارك، وما شهدته المجتمع من وقائع خطيرة كادت تؤدي إلى اشتعال صراعات دموية.

أولى هذه المقالات عنوانها الكفاح الثوري... من هنا يبدأ، ويقول فيها الكاتب: «التمثال في تاريخ الثورات في العالم يكشف أن الثورة الفرنسية لم تكن لتحدث من دون وجود استياء واسع النطاق من نظام الحكم القديم، وكذلك لم تكن الثورة الفرنسية لتحدث من دون التفسّخ الذي اعترى إمبراطورية القيصر بسبب الحرب، غير أن قوى الثورة المصرية التي كانت في طليعة المشهد الثوري أصابها فيروس الانقسام، وكانت الملامح البارزة لحالة الانقسام ذاك العدد الهائل من الأحزاب والائتلافات والحركات السياسية، ما أدى إلى ظهور سياسة فرق تسد التي أفاد منها تيار الإسلام السياسي، على اختلاف خطابه الأيديولوجي ما بين الإخوان والسلفيين، وقرّزوا على المشهد الثوري، وذلك ما كشفت عنه نتائج الانتخابات البرلمانية الأخيرة».

يقول الكاتب في مقال آخر عنوانه «المنكف الخائن»: «إن وجود فاروق حسني على رأس وزارة الثقافة المصرية على مدار 23 عاما أصاب وزارة



الثقافة والثقافة المصرية بالتراجُع والركود والشيخوخة الباكرة، وفي الحوار وتلك النشرة جديدة «المشهد» في 22 يناير/كانون الثاني 2012، أجاب فاروق حسني عن سؤال الصحافي وليد الرملي الذي أعد الحوار: كيف ترى شخصية مبارك طوال سنوات حكمه، ثم بعد تحيته؟ قال: أشهد أنه رجل في مثنتي الطبية ولم يفكر يوما في إيذاء منكف واحد ممن كانوا ينتقدونه علنا، مستشهدا بموقف مبارك وحكاية صنع الله إبراهيم». مؤكداً «أن فاروق حسني منكف كذاب، لأن موضوع صنع الله إبراهيم وما فعله هو رفض علني من منكف عضوي لا يريد أن يكون منكفاً مُدجّنا وخائنا في حظيرة فاروق حسني الثقافية».

يجيب الكاتب عن تساؤل: هل الرأسمالية على وشك الانهيار؟ بالقول: «لقد نهبت الأمم المتحدة أن أزمة منقلقة اليورو تشكل أكبر خطر على اقتصاد العالم، وتزامن التحذير مع تأكيدات أميركية على مراقبة تداعيات الأزمة على جهد إتحاعاش الاقتصاد الأميركي، وفي تقرير صادر حديثا عن الأمم المتحدة، أن تقافم أزمة ديون منقلقة اليورو قد يؤدي إلى تدهور النمو العالمي، وقال التقرير الذي تناول وضع الاقتصاد العالمي وأفاقه في عام 2012 إن أزمة ديون منقلقة اليورو ما زالت تشكّل خطراً داهما على الاقتصاد العالمي».

من السياسة والاقتصاد ينقلنا الكاتب إلى الفن والثقافة عبر مقال يحمل عنوان «أفلام الفتنه والحروب الثقافية»، ويرى أن الهدف الظاهر من طرح فيلم يسء إلى الإسلام والمسلمين والنبيّ هو محاولة من قبل الفاعلين الثقافيّين القائمين على إنتاج الفيلم «براءة المسلمين» لإشعال هدف كان داخل المجتمع المصري ومعها جميع المجتمعات العربية والإسلامية، لخلق حالة من الغُف المستمر. وطبقا لرؤية وسائل الإعلام الأميركية، كل عنف عربي هو إرهاب، إذ ظهر العديد من الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية في الولايات المتحدة الأميركية بعد الحادي عشر من أيلول 2001، تصوّر شخصية العربي بالمخادع والعرب غير قادرين على المساهمة في شيء في المجتمع الأميركي سوى العنف أو الغباء، مثل مُسلسل «تاكسي الإرهاب»، و«الغبي» و«الأحد الأسود» و«اتباع الإبل» وأن فيلم الفتنه «براءة المسلمين»، لن يكون في ساحة الصراع الثقافيّ القائم بين العرب والمسلمين من ناحية والغرب من ناحية أخرى. ويصنير الكاتب في مقال آخر إلى «الديمقراطية الحقّة» قائلا: «لا شك في أن ممارسة الديمقراطية أمر عسير، بل لعلها الممارسة الأكثر تعقيدا وصعوبة بين جميع أشكال الحكم الأخرى، فهي حافلة بالتوترات، وتنطوي على العديد من التناقضات، وتتطلب من القائمين على أمرها بذل المزيد من الجهد».

ويضيف: «من أسس ومبادئ الديمقراطية الحقّة، الدستورية، وتعني أن تتم صياغة القوانين ضمن قوات معيَنة. ومن أهم أسس الديمقراطية الحقّة صلاحيات الرئيس، فكل مجتمع في العالم رئيس تنفيذي قادر على القيام بمسؤوليات الحكم، سواء كانت الإدارة البسيطة لبرنامج ما أو قيادة القوات المسلحة للدفاع عن الوطن زمن الحرب، وهناك خلاف غير مرئي بين هذين القهطين يحتمّ إعطاء ذاك المسؤول ما يكفي من صلاحيات للقيام بمهمّات الرئاسة والحد في الوقت نفسه من تلك السلطات، كي لا يتحوّل هذا المسؤول إلى ديكتاتور».

في آخر مقالات الكتاب «الديمقراطية والدولة القوية في مصر»، يرى الكاتب أن عيى قوى الإسلام السياسي المتناكبة على الشرعية والديمقراطية، منذ عزّل رئيسها محمد مرسي، أن تتذكر جيدا أن الرئيس المعزول وجماعته هم أول من خرق نوب الديمقراطية.

المعروف أن صعود جماعة «الإخوان» إلى السلطة في مصر وسائر بلدان «الربيع العربي»، حصل بدعم مُباشر وسري من الولايات المتحدة الأميركية، استكمالا لمبادرة لدعم الديمقراطية في العالم العربي الذي طرح في كانون الأول 1990، وأعلنت عنها الوكالة الأميركية للتنمية الدولية التي وضعت من خلالها برنامجا لزمك والديمقراطية لبلدان شمال أفريقيا والشرق الأوسط. وكشفت الحقائق زيف هذا البرنامج الذي كان ولا يزال هدفه الباطن ليس دعم «الديمقراطية» بل دعم جماعات سياسية داخل الطبقة الحاكمة العربية من شأنها دعم - لا عرقله - السياسة الأميركية الاقتصادية في مصر والعالم العربي.

صدر كتاب «النظر إلى مصر بعين ثالثة» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة في القاهرة في 216 صفحة قطعلا وسطا.



وان تكن قصيدة «أغاني النار» عبارة عن «فانتازيا سوداء عن نهاية العالم» بحسب وصف الشاعر، فيها يتجسد الراوي في جسد الحالم المعقون والنشوة والابتهاج الروحي في جمعائه.

في قصيدة «الم» تتفتّح الأسطورة على أسطورة تالية، وتتدرّج الكلمات منقلبة وبصياغة ملتاعة خاطفة: «هنا، تصرخ امرأة في وجهي أخرى. هنا، يضرب شخص آخر. هنا، تتراجع المرأة والإلان تكونا امرأتين إلا في الحلم».

في التحمد، تعتقد الناقدة فيونا سامسون أن من المستحيل أن نطالع هذه القصائد من غير أن نشعر بان تهديدها المتهكّر «سوف تندلع النيران» هو تهديد شخصي وجماعي أيضا. آدم نيون من صحيفة «الحارديان» البريطانية وصف الديوان بأنه «تبار من السرى والأحلام المحموه، سفر الرؤيا يتحرّق من خلال الحرب والكوارث البيئية أو القدرة البشرية اللانهائية على خداع الذات والتعذيب».

مثل الشاعر الإيرلندي بيتس يلعب هاريسيت في ديوانه على رموز الكتاب المقدس، ولدى قراءته، تستعمه الأذن مثل سفر الرؤيا، إنما بنسخة حديثة منظورة. ينتزع الديوان من القارئ رد فعل بادئا سواء كان انزعاجا دقيقا أو عيا متفاديا خليقا بإنسان الغابية. النار هي الرمز الغالب بحمرتها وتوهجها وتوقها إلى الفتك والتبديد. ومثلما بنت في الأرض يوما الخالص والبعث، يمكنها محو كل شيء.

ثقافة

صباح قباني وتعددية المواهب...



■ سامر عوض

توفي في مستهل سنة 2015، وفق التقويم الميلادي، الدكتور صباح قباني، سفير سورية لدى الولايات المتحدة الأميركية، بعد قطعية أعقبت حرب تشرين التحريرية، وذلك سنة 1974. وكان مدير البرامج في التلفزيون السوري، وعمل سنة 1958 على تأسيس مديرية الفنون، خطوة بخطوة ولحظة بلحظة.

قام قباني باكتشاف موهبة الفنان السوري الكبير دريد لحام، وقد التمس منه الانضمام للتلفزيون، حيث انتفعت من هذا الاكتشاف سورية، والعالم العربي بأسره. هو شقيق الشاعر الكبير نزار، ويشتركان كلاهما برهافة الحنّ. هو والد الدكتورة رنا التي عملت كثيرا في مجال الاستشرقا ودهض رعاية الغرب البغضاء عن الشرق.

الدكتور صباح سليل عائلة وطنية وعريقة جدّه أحمد أبو خليل القباني، ذاك الرجل الكبير الذي كان من رواة المغاني العربي، وقد برع في الموسيقى، والممثل، والرقص، والغناء، على الصعيد العربي، إذ كانت له إسهاماته المسرحية الكبيرة في مصر وغيرها من الأقطار العربية. والد صباح هو توفيق، ذاك المناضل الكبير خيِّب الانتداب الفرنسي في سورية، إذ كان منزله، بمثابة هوج يقلّ الوطنيين لمواجهة الانتداب، وقد واطب الأب على هذه الديناميكية الوطنية الكبيرة والعظيمة، لسنوات وسنوات، مما أثر كثيرا في نفسي صباح ونزار، وزرع في قلبهما حب الوطن حتى الثمالة، وهذا ما ترجماه كلاهما في العمل الدبلوماسي، والأدبي، والسياسي، والفني، والإعلامي، وقد ربّيا أولادهما على هذا الحُب.

أكمل صباح دراسته الحقوقية، وتابع في جامعة السوربون (فرنسا) شهادة الدكتوراه، في مجال (منح الجنسية السورية لسكان لواء أسكندرون) إذ طعن الفرنسيين من عقر دارهم، بتلك الاطروحة الجامعية التي نالت إعجاب الفرنسيين كثيرا، وقد تعب في سبيل هذه القضية كثيرا خلال سني حياته السياسية، التي عمل فيها بجدّ ونشاط لإثبات حق السوريين في الحصول على الجنسية، سواء المقيمين بتلك الارض المسلوحة قسراً من قبل فرنسا لصالح تركيا، أو من هم بالأصل منها.

في يوم من الأيام بعد عودة العلاقات الدبلوماسية بين سورية والولايات المتحدة الاميركية، قال فزري كينسنجر وزير الخارجية الاميريكي حينها، لسفير سورية الجديد في البلاد صباح قباني: على سورية ان تظهر بإظهار صورتها بشكل ناصع على الصعيد العالمي، وأن تبدّل ما بوسعها في سبيل إتمام هذا الامر، فاجاب القباني: لا بل على اميركا، ان تهتمّ بصورتها على الصعيد العالمي؛ لانها تحوّل الحق باطلا، والباطل حقًا، وللأسف لا زالت الولايات المتحدة تعمل بالذهنية الأحادية التفكير ذاتها حتى يومنا هذا.

لخصّ قباني تجربته الطويلة ووضعها في كتابين: من أوراق العمر، وكلام عبر الآكام (كتابات في الفن والتراث والسياسة 1953-2010). ومثمة كتاب ثالث تحت عنوان: رضا سعيد، ويتحدث الكاتب عنه،باعتياره مؤسس أول جامعة في سورية. وقد سألت قباني صحافية دمشقية يومًا: هل تفكر في تأليف كتاب آخر؟ فاجاب بكل تواضع وخفر: أما يكفي ان يؤلّف المرء ثلاثة كتب؟! كان رجلا متواضعا جدا، عرفته عن قرب، وجمعتني به دمشق صباح يوم 10 كانون الأول 2012، حين تحدثنا كثيرا في تلك الجلسة اليتيمة، بعدة أمور وقد ترك في نفسي بصمات فاعلة.

في ظل إسهاماته الوطنية الثقافية، قام قباني بترجمة كتابين لكريمته الدكتورة رنا، زوجة الصحافي البريطاني المعروف بآتريك سيل، وهما: أساطير أوروبا عن الشرق، ورسالة الى الغرب. وقد انصبت رسالة هذين الكتابين في مسرى كشف الدعاية المزيفة التي يسوقها الغرب عن الشرق، إذ يلخص قباني الأب القضية ضمن سياق واضح، وبسيط، وعميق في الوقت ذاته (لَقِّ شُدْ). ويصّب هذان الكتابان في مجرى دهض ذلك التفتيق وبينان زيفه، من خلال دروسا (أساطير أوروبا عن الشرق) التي توضح هذه الفكرة بشكل منهجي وعميق، مما استدعى الترجمة. والكتاب جدير بالمطالعة، والدراية، وحتى الدراسة والاهتمام، لعنرف ماذا يحكّ عنا الغرب من أقاويل وكاذيب، لا أساس لها من الصحة.

اهتمّ قباني بالإعلام كثيرا، وكان أسوة بذلك يهوى التصوير، وأقام عدة معارض فوتوغرافية، وذات يوم سُئل عن سبب اهتمامه بالتصوير فأجاب: هل المرء أن يوقف الزمن؟! بالطبع لا... لاّه يتحرك باستمرار، لكن آلة التصوير توقف الزمن، وتحنط اللحظة، فأصوره هي اللحظة الفالّنة من عقالات الزمان، وهي لا تشبه سابقتها، ولا ما يلحقها. وقد دأب كثيرا على تطوير مؤسسة الإذاعة والتلفزيون في الجمهورية العربية السورية، راسماً خطوطا عميقة ما زال لها التأثير الكبير في مسيرة هذه المؤسسة السورية الضمخة.

عمل قباني في وزارة الخارجية السورية لسنوات طوال، وقد تبوأ مناصب عدة في هذا السلك، أسوة بعمله في وزارة الإعلام. وقد جمع في شخصه صلاية المشرقي، ودبلوماسية الغربيين، فكان نشاطه يندرج ضمن مسارين منفصلين، الأول: عمله باستناتة من أجل تحقيق مصالح سورية الوطنية العليا، بصرف النظر عن العواصف الهوجاء التي تتعرّض لها. الثاني: سعيه على الدوام لتكريس مفهوم التجسدي والابتعاد عن الاتباعية الروتينية التي تجمّد كثيرا العمل المؤسساتي وقد برع في ذلك، إذ ابتكر الكثير من الأساليب التي لا بد لنا من دراستها وتوثيقها، لنستفيد منها فقد كان له جدّة وفرداة جعلتا منه نموذجا يُحتذى به وطنيا، وإبداعيا.

هذه الأسطر ليست توثيقية بقدر ما هي تسليط ضوء، على بعض الملامح من حياة هذا الرجل الكبير الذي تعلمنا من تجربته، التي سطرها لنا من خلال مؤلفاته، فكانت بحق مدرسة تعلم كيفية تفعيل مفهوم المواطنة بأبهى صورها، إذ كانت حياته فيسفساء من العطاءات.

هو لم يكن يهوى الظهور، ولم يسمح أن يتكلم عنه أحد؛ لأن الوطن ورسالته السياسية اللذين بذل نفسه في محرابهما، كانا بالنسبة له رسالة واجب ومسؤولية، وما لتعب تجاه الوطن، سوى بداية طريق الإنسان، ليرد ولو جزءا بسيطا لهذا الكيان العظيم الذي يشكلنا كما تشكله، وله فضل كبير علينا جميعا...

برحيل الدكتور صباح قباني عننا، تطوى صفحة من الجهاد المرير، وبذلِ التعب والعرق، من أجل سورية هذا الوطن العظيم. رحمه الله، علمنا بحياته، وسنبقى ننهل من سيرته العطرة بعد وفاته، لأنه لم يك في قلب سورية وحسب، بل كانت في قلبه أيضا.